

SIATS Journals

Journal of Islamic Studies and Thought for Specialized Researches

(JISTSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk



مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث التخصصية

المجلد **5**، العدد 2، أبريل 2019م

e-ISSN: 2289-9065

نحو إعادة إحياء المدرسة الإسلامية الأصيلة:

قراءة تحليلية في تجربة مولود قاسم نايت بلقاسم

أحمد رشيق بكيني

د . أشرف زيدان

د . محمد بن يوسف

bakinirachik@gmail.com

أكاديمية الدراسات الإسلامية – قسم الدعوة والتنمية البشرية

جامعة ملايا

2019م – 1440 هـ

ARTICLE INFO
Article history:
Received 22/1/2019
Received in revised form1/2/2019
Accepted 20/3/2019
Available online 15/4/2019
Keywords:

Abstract

One of the most destructive effects of colonization of the Muslim world is the marginalization of Islamic learning institution (Madrasa) and its original approach to knowledge and learning. Unfortunately, after independence, Muslim countries did little to restore authentic Islamic learning and its institutions. However, some intellectual figures work hard to address the issue of Islamic learning and revive its role in shaping the new generation and the future of Muslim community. Perhaps, among these figures who deserve some attention the famous Algerian thinker Mouloud Kasim Nait Belkasim who devoted his life the Madrasa institution. This research is an attempt to explain the major guidelines of Belkasim's integrated project of reform Algerian education system. This project includes reviving Islamic pedagogy, establishing public university, and the eradication of illiteracy. The researcher use both historical and analytical methodology which are more appropriate to address the questions of the research. The later, concludes that the efforts of Belkasim were very effective in making positive change in history of Algerian education system regardless the challenges and obstacles it faces which most of them are created by political tendencies that adopt the colonial Francophonie ideology and culture. The research emphasizes on continuity of Belkasim's educational reform for its effectiveness in solving many problems the Algerian education system is facing today.

Keywords: Madrasa, Islamic education, Algeria, colonialism, integrated education



الملخص:

إنّ من أخطر مخططات الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي السعي إلى الإجهاز على المدرسة الإسلامية الأصيلة، وللأسف فإن دول ما بعد الاستقلال اتبعت "سنن" الاحتلال الغربي! ويعدّ مولود قاسم من الروّاد الذين سعوا إلى إعادة إحياء المدرسة الإسلامية الأصيلة، فما هو مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة عند مولود قاسم؟ وكيف تمكن من ترجمة مشروعه إلى تجربة تربوية متكاملة؟ ولهذا فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى معرفة المدرسة الإسلامية الأصيلة عند مولود قاسم، وذلك بمعرفة دعائمها، وهي: التعليم الأصلي، والجامعة الشعبية، ومحو الأمية، وقد اتبعت الدراسة "المنهج المختلط"؛ فاختارت المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي، ومن أهم النتائج التي استخلصتها أنّ مولود قاسم من رواد المدرسة الإسلامية الأصيلة، الذين تمكنوا من ترجمة مشروعهم إلى تجربة عملية، وقد أينع ثمرها وآتت أكلها، وكانت تجربة نموذجية ناجحة، إلا أن تعرضها إلى الإجهاض أصاب هذا المشروع في مقتل.

الكلمات المفتاحية: مولود قاسم نايت بلقاسم، التعليم الأصلي، الجامعة الشعبية، محو الأمية، المدرسة الإسلامية الأصيلة.

مقدمة:

إنّ مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة عند مولود قاسم[1] مشروع جدير بالدراسة والعناية، وهو بحق تجربة رائدة يُمكن الاستفادة منها إذا كان يعنينا حاضر الأمّة ومستقبلها. وحجر الأساس للتعليم الأصلي وُضِع بعد أن أصدرت اللجنة

[1] . مولود قاسم نايت بلقاسم (1927م/1992م)، مثقّف وسياسي جزائري، يشهد كلّ من ترجم له ب"موسوعيته"، تلقى تعليمه القاعدي في وطنه الجزائر، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس، وبعدها انتقل إلى جامعة القاهرة بمصر، وسجل الدكتوراه مرارا في أكثر من جامعة أوروبية منها فرنسا وألمانيا ولكن نضاله في صفوف الثورة التحريرية (1954م/1962م) حال دون إتمامها. تبوأ بعد استرجاع الجزائر استقلالها مناصب سياسية عديدة أهمها وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية (1970م/1976م). توفي في 27 /1992/08م، وكلّه إحباط بعد أن أُجهز على كلّ مشاريعه الإصلاحية والتي أهمها مشروع "التعليم الأصلي". ينظر: أحمد بن نعمان . مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف . (د.ط . برج الكيفان . الجزائر. دار النعمان . 2016م)



العليا لإصلاح التعليم التي تكونت سنة 1969م توصياتها والتي كان من أهمها إنشاء التعليم الأصلي، وبالفعل ففي سنة 1970م أُسندت وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية إلى مولود قاسم، وفي هذا الصدد يقول: "دعيت إلى الوزارة من قبل الرئيس الرّاحل هواري بومدين[2] سنة 1970م، وكانت آنذاك تسمى وزارة الأوقاف، وحيث إنّ اسم وزارة الأوقاف يعني الاهتمام بالزوايا، والتكايا، والصدقات، والفقراء ... الخ ونحن لم تعد لنا أوقاف، إذ صادرها الاستدمار الفرنسي كلّها[3] ... فقد اقترحت على بومدين إذا استلمت هذه الوزارة أن أسميها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. لأن التعليم هو الأساس، وهو الوسيلة الأولى في بناء الأمة، وعلى كل هو شرط عمل هذه الوزارة وإلا فلا معنى لها. فقال بومدين: ربما سيعترض البعض، فقلت له: وافقني أنت على هذه التسمية وأنا سأجيب على المعترضين ... فوافقني بومدين على ذلك"[4].

وإذا كان العمود الفقري للمدرسة الإسلامية الأصيلة هو التعليم الأصلي، فإنّها لم تنحصر في هذا المجال، بل تعدته إلى مجالات أخرى لا تقل حيوية وأهمية، بغية انتشال المجتمع الجزائري من مستنقع "التجهيل" الذي أتقنت فرنسا الاستعمارية صنعه، وأحكمت على مدار قرن ونيف مخطّطه.

المبحث الأول: التعليم الأصلي: من الإرهاصات إلى المأساة

المطلب الأول ـ التعليم الأصلي فكرة:

استلهم مولود قاسم فكرة التعليم الأصلي من التكميلي إلى الجامعة من تجارب الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، ولا غرابة في ذلك أنْ يجمع علمنا بين الأضداد والمتناقضات، فالحكمة عنده لا جنسية لها فحيث وجدها عضّ عليها

---

[3] . ولكن لماذا لم يطلق مولود قاسم "مشروع" استعادة الأوقاف التي صادرها الاحتلال الفرنسي؟ ومن المعلوم أنّ الأوقاف كانت تمول "الخدمات الدينية والثقافية والتعليمية والاجتماعية للمسلمين الجزائريين"، ولهذا صادرها الاحتلال الفرنسي ليقطع مصادر التمويل.

[4] . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 176 وما بعدها.



بالنواجذ، وساقها إلى وطنه للانتفاع بها كما يساق الماء إلى الأرض الجرز، فهو يريد من مؤسسات التعليم الأصلي أنْ تكون "على شكل الجامعة الأزهرية الحديثة، والجامعتين الكاثوليكيتين الفرنسيتين في باريس وستراسبورغ، وجامعتي لوفان وبروكسل الكاثوليكيتين في بلجيكا: بالجمع بين الدين والدنيا في التعليم، والتكوين، والتربية، وتسليح الأجيال علميا وأخلاقيا. وهي التربية الحقيقية بمعناها الكامل، وما يسمى في العصر الحديث بالتربية الوطنية، وسميناه نحن بالأصلي، إشارة إلى التعليم كما كان في العهود الزاهرة في الإسلام، وفي عهد ابن سينا، وابن رشد، وابن الهيثم، والبيروني، والرّازي، والخوارزمي، وغيرهم، حيث كان العلم بأسرار الكون والتّحكم في الطبيعة واجبا دينيا يعلم مع الدين"[5].

المطلب الثاني ـ برنامج التعليم الأصلي

إنّ مؤسسات التعليم الأصلي "تعلّم جميع المواد التي تدرّس في مثيلاتها من التعليم العام. لكنها فضلا عن ذلك تتميز عنها بتدريس العلوم الإسلامية، والتعمق في مواد اللغة العربية، والعناية بالتاريخ الإسلامي، وتاريخ الجزائر بشكل خاص"[6]، "بحيث أنّ ما نطبقه اليوم في التعليم التكميلي والثانوي من الجمع بين مواد التعليم العام والمواد العربية والإسلامية، وسميناه بالتعليم الأصلي"[7].

المطلب الثالث ـ تطور التعليم الأصلي

إنّ مولود قاسم كان يختزن في جعبته مشروعا تربويا كاملا متكاملا، يبدأ من التعليم التكميلي وينتهي عند التعليم الجامعي، وشرع في تجسيده وتنفيذه بتدرج ومرحلية، ومن الخطوات التي خطاها في هذا الطريق أنْ "رسّم أهلية التعليم الأصلي بنص قانوني، وجعلها معادلة لأهلية التعليم العام، ثم أنشأ بكالوريا التعليم الأصلي ذات الشعب الثلاث:

---

[5] . مولود قاسم نايت بلقاسم . إنية وأصالة . 429.

[6] . المأمون القاسمي . مولود قاسم ... الوزير المسؤول . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 224.

[7] . مولود قاسم نايت بلقاسم . إنية وأصالة . ص 429.



الأدبية، والعلمية، والرياضية"[8]، واستطاع مولود قاسم أن يفتك المعادلة العالمية لبكالوريا التعليم الأصلي[9]، وهكذا سار التعليم الأصلي بخطوات سريعة ومدروسة أينع ثمرها، وبدا صبحها.

ورغم أنّ التعليم الأصلي لم يعمّر طويلا، إذ عمّر ستّ سنوات (1970م/1976)، إلا أنّ نتائجه كانت مذهلة، فقد بدأ سنة 1970م بـ 17 مؤسسة بين إكمالية وثانوية ليصل العدد سنة 1976م إلى 43 مؤسسة، وبدأ عدد التلاميذ سنة 1970م بـ 8682 تلميذا ليصل عددهم سنة 1976م إلى 30 ألف تلميذ[10]، وهذا الإقبال الكبير على مؤسسات التعليم الأصلي يؤكد مدى حاجة الجزائريين الماسة إلى مؤسسات التعليم والتربية التي تعبّر عن "إنيتهم" والتي أوصد الاحتلال الفرنسي أبوابها في وجوه الجزائريين، فإقبال أبناء الجزائر على هذه المؤسسات يعني فشل المخططات الاستعمارية التي حاولت بكل السبل صد الجزائريين عن دينهم ولغتهم ومسخ شخصيتهم الحضارية.

وإذا عرف المرء أنّ تلاميذ التعليم الأصلي هم في الغالب من أبناء الفقراء، واليتامى، والرّيفيين[11]، عرف سرّ تفوقهم ونجاحهم الدراسي، وعرف أنّ الذين ثاروا على التعليم الأصلي أزعجهم أكثر تفوق ونجاح تلاميذه، ولو كان التعليم الأصلي يعاني على مستوى الإقبال، والتلاميذ يزهدون في التوجه إليه، ويتخبط على مستوى النتائج، ويتجرع مرارة ضعف النتائج الدراسية، لكان لهم رأي آخر، وربما تخلوا عن فكرة الإجهاز عليه لأنّ الزّمن كفيل بذلك، ولكن نجاح التعليم الأصلي تجاوز حدود الوطن ذلك "أنّ كثيرا من أبناء القارتين الإفريقية والآسيوية زاولوا تعليمهم في هذه الثانويات

---

[8] . المأمون القاسمي . مولود قاسم ... الوزير المسؤول . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 224.

[9] . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 177.

[10] . ينظر: محمد الصغير بلعلام . تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها (التكوين والتعليم) "الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم (27 . 28 . 29 مارس 2005م)" . عن "الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر (1927م/1992م) بمناسبة تخرج الدفعة العشرين (1428هـ/2007م)" . جمع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة) . ص: 74 وما بعدها.

[11] . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 178.



أسوة بمعهد عبد الحميد بن باديس في زمن الاستعمار"[12]، وقد بلغ عدد التلاميذ الأجانب غير الجزائريين 200 تلميذ بالنسبة للعام الدراسي 1973م/1974م[13]

المطلب الرابع ـ الجامعة الإسلامية الحلقة التتويجية في مشروع التعليم الأصلي

لا تقف حلقات التعليم الأصلي عند التعليم التكميلي والثانوي، وإنّما تستكمل حلقاته بالتعليم العالي، فـ"سيكتمل (التعليم الأصلي) ليؤتي ثمرته كاملة بتتويجه بالتعليم العالي"، وتكون "النواة" الأولى للتعليم العالي في قسنطينة[14] لتشع على باقي أنحاء الوطن، فيتم إنشاء "جامعة إسلامية[15] كبيرة تمتد فروع كلياتها المتعددة من الهندسة والطب والزراعة ...الخ. إلى سائر أنحاء البلاد، وهذا زيادة طبعا على الكليات التقليدية الموجودة في العالم الإسلامي وهي كليات الشريعة، وأصول الدين، واللغة العربية"[16].

فمؤسسات التعليم الأصلي التكميلية والثانوية هي بمثابة "الرّافد الطلابي" الذي يصبّ في الجامعة الإسلامية، وتتمثل مهام هذه الجامعة فيما يأتي:

"1 . أنّها تكون الجامعة المعربة الأولى تعريبا كليا والتي منها ينطلق تعريب الجامعات الأخرى.

---

[12] . محمد الصغير بلعلام . تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها (التكوين والتعليم) "الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم (27 . 28 .29 مارس 2005م)" . عن "الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر (1927م/1992م) بمناسبة تخرج الدفعة العشرين (1428هـ/2007م)" . جمع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة) . ص: 73.

[13] . انظر: مجلة الأصالة (عدد خاص . التعريب) . العدد 18/17 . المجلد السادس . دون تاريخ . منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف . الجزائر . (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م) . (د.ط . الرغاية . الجزائر . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . 2012م) . ص 428.

[14] . قسنطينة: هي ولاية (محافظة) من ولايات الجزائر، وتعد عاصمة الشرق الجزائري، ومنها انطلق عبد الحميد بن باديس في حركته الإصلاحية والتعليمية التي توجت بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[15] . أعلن الرئيس هواري بومدين عن إنشاء هذه الجامعة في خطابة بجامع عقبة بن نافع بالقيروان في تونس بمناسبة المولد النبوي الشريف سنة: (1392هـ/ 1972م) . انظر: مولود قاسم نايت باقاسم . إنية وأصالة . ص 428 وما بعدها، ومولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 178.

[16] . مولود قاسم نايت بلقاسم . جريدة الشعب . عدد (02 فيفري 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 164.



2 . أنها تكوّن بدرجة الليسانس وحتى الدكتوراه خريجي ثانويات التعليم الأصلي كأئمة خطباء ممتازين للمساجد الكبرى والمتوسطة للبلاد[17].

3 . أنها بكلياتها الأخرى العلمية (طب، زراعة، هندسة والكترونيك ... الخ) المنتشرة في أنحاء البلاد تساهم ... على تزويد الخرّيج من الكليّات المذكورة بعنصرين أساسيين جوهريين زيادة على مادة التخصص وهما:

أ . انغراس الروح الأخلاقية الإسلامية في الطبيب والمهندس ...الخ، ومراعاة البعد الأخلاقي في الطبيب والمهندس والمزارع وغيرهم بتزويدهم بأخلاقيات الإسلام.

ب . إشباع المهندس والطبيب ... بدور الحضارة الإسلامية في مجال تخصصه، وذلك بإنشاء كرسي الحضارة الإسلامية الذي يدرّس في كلّ كليّة"[18].

المطلب الخامس ـ إلغاء التعليم الأصلي

بعد أنْ كان "بومدين متحمسا لهذا العمل (التعليم الأصلي)، لكن نظرا لنجاح هذا المشروع ...فإنّ بعض المصالح وبعض الشخصيات (تطوعت) وقالت لبومدين: إنّ التعليم الأصلي شبكة للإخوان المسلمين، شبكة رجعية ستطوق الاشتراكية وستخرب لك النظام، لأنهم عندما ينتشرون في كليات الطب، والهندسة، والزراعة، والجيش، والداخلية، سيتغلغلون في المصالح ويقلبون عليك النظام ويقضون على الاشتراكية، خاصة أنهم يتلقون تدريبا عسكريا"[19]، ولكن

---

17. إنّ "تخصص الإمامة" الذي فتحته جامعة الجزائر (بن يوسف بن خدة) مؤخرا والذي يهدف إلى تخريج أئمة يؤطرون المساجد بإمامة الصلوات وأداء الخطب ... يعني أنّ أفكار مولود قاسم بدأت تجد طريقها إلى التجسيد، وتلك ميزة العباقرة عبر التاريخ دائما يسبقون زمنهم، وغيرهم يسابق زمنه.

18 . مولود قاسم نايت بلقاسم . جريدة الشعب . عدد (02 فيفري 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 164 وما بعدها.

19 . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 178.



لأنّ هذه المصالح والشخصيات لا يمكن أنْ تُسوّق هذه المبررات لإلغاء التعليم الأصلي، فإنها بحثت عن مبررات قابلة للتسويق فكان أن تذرعت بـ "وحدة التعليم"[20] الذي سماه مترجمنا "وخذة[21] التعليم"[22].

والحقّ أنّ هذه الخدعة "وحدة التعليم" انطلت حتى على كبار المثقفين، مما يدل على أنها نسجت بإحكام وسوقت بإتقان، "وأشهد أنّني شخصيا كنت من الذين آمنوا بتوحيد التعليم من أجل توحيد التفكير بين المواطنين والانسجام بينهم، تفاديا لما حدث لنا نحن أثناء العهد الاستعماري إذ تخرج الجزائريون من مدارس مختلفة، فكان ذلك سببا في التنافر والتباعد بيننا. ولم أكن وقتها أدرك الأبعاد التي يرمي إليها الخصوم إذ كانوا يتخذون توحيد التعليم غطاء فقط"[23]، والمسألة بكلّ بساطة ووضوح "أنّ مشروع التعليم الأصلي قد أخذ يثير الرعب في الأوساط الشيوعية والفرنكفونية معا، ألا يعني نجاح المشروع تكوين كتائب من الشباب المتضلع في الحضارة الإسلامية، والمتضلع أيضا في اللغة العربية، لغة التعليم الأصلي؟ وذلك ما لا يريده ولا يتحمله لا أولئك ولا هؤلاء"[24]، والسؤال المطروح: لماذا في اجتماع مجلس الثورة والحكومة (1975م) الذي ناقش هذا الموضوع تُرك مولود قاسم وحده، ولم يؤيده أحد إلا عبد المالك بن حبيلس[25]؟ رغم أنّ في مجلس الثورة والحكومة الكثير ممن تجمعهم بمولود قاسم "قرابة عقلية"[26]!

---

[20] . المرجع نفسه. ص 178.

[21] . "وَخْدَة" هي: كلمة من "العامية الجزائرية" وتعني: الهلاك، وبالتالي: وخذة التعليم أي: هلاك التعليم.

[22] . مولود قاسم نايت بلقاسم. مجلة الإرشاد. عدد (ماي 1992م). عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف". جمع: د.أحمد بن نعمان. ص 179.

[23] . أبو القاسم سعد الله. سي مولود ظاهرة فذّة. عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف". جمع د.أحمد بن نعمان. ص205 .

[24] . نفسه. ص 205.

[25] . عبد المالك بن حبيلس: كان وزيرا للعدل في تلك الفترة، وهو سياسي جزائري شغل العديد من المناصب السياسية والدبلوماسية، آخرها رئيس المجلس الدستوري.

[26] . من بينهم: أحمد طالب الإبراهيمي، وبوعلام بن حمودة. انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم. مجلة الإرشاد. عدد (ماي 1992م). عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف". جمع: د.أحمد بن نعمان. ص 178 وما بعدها.



"وألغي التعليم الأصلي وقضي على الجهود المبذولة وانتصر التغريبيون الذين كان في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا والذين يتقنون فن المراوغة والانحناء للعواصف حتى تمر، وألغي المشروع وقبر في عنفوان شبابه وجفّفت الرّوافد التي كانت ستمد الجامعة الإسلامية المعلن عنها المتعددة الكليات الكاملة المتكاملة"[27].

المطلب السادس ـ آثار إلغاء التعليم الأصلي

إنّ إلغاء التعليم الأصلي كانت له تداعيات سلبية وخطيرة على حدّ قول أنصاره ومؤيديه، فإلغاؤه أدّى إلى فقدان شبابنا وشاباتنا شخصيتهم، وفتح الباب في وجه المنفرين، والملحدين، واللادينيين، واللائكيين، وكل ما هو فسخ ونسخ[28]، "وكان لهذا القرار المشؤوم (إلغاء التعليم الأصلي) ما نعرفه في واقعنا اليوم من ترد واختلال، في كثير من القطاعات، ولا سيما في المجالات الدينية والتربوية والثقافية ..."[29]، وهاهو أبو القاسم سعد الله يضع النقاط على الحروف إذْ يقول: "وعند تأسيس جامعة الأمير عبد القادر[30]، كتبت منوها بدور سي مولود في التعليم الأصلي الذي مهد الطريق، والذي لو نجح فيه ووجد المساندة، وسارت الأمور بعقلنة وتوازن مدروس لتفادينا تشرذم شبابنا الذين ذهبوا يبحثون عن غذائهم المفقود في بلادهم، في السعودية، وإيران، وأفغانستان، بل في كتب يصدرها مفتون في الشرق والغرب، وقد بلغ سي مولود تنويهي بالتعليم الأصلي في عهده ودوره فيه، فارتاح لذلك، ولكن ماذا يفيده ذلك وقد رأى آماله تتحطم، وعاش حتى رأى بلاده تتمزّق، ثم تركها تبحث عن منظومة تربوية أخرى"[31].

---

[27] . محمد الصغير بلعلام . تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها (التكوين والتعليم) "الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم (27 . 28 .29 مارس 2005م)" . عن "الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر (1927م/1992م) بمناسبة تخرج الدفعة العشرين (1428هـ/2007م)" . جمع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة) . ص: 76.

[28] . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص180.

[29] . المأمون القاسمي . مولود قاسم ... الوزير المسؤول . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 225.

[30] . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تقع في قسنطينة، عاصمة الشرق الجزائري، تأسست سنة 1984م، وتعود فكرة إنشائها إلى مولود قاسم، انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم . جريدة الشعب . عدد (02 فيفري 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص 164.

[31] . أبو القاسم سعد الله . سي مولود ظاهرة فذّة . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع د.أحمد بن نعمان . ص205.



المطلب السابع ـ هل يتحمّل مولود قاسم مسؤولية إلغاء التعليم الأصلي

يبدو أنّ مولود قاسم لم يُقدّر قوة "أعداء" التعليم الأصلي، ولم يُبال بتحركاتهم هنا وهناك التي سبقت الإجهاز على آماله، وربما كان الرئيس هواري بومدين أكثر تقديرا للأمور منه، لأنه عندما اقترح عليه مولود قاسم فكرة التعليم الأصلي قال له: "ربما سيعترض البعض، فقلت له: وافقني أنت على التسمية وأنا سأجيب على المعترضين"[32]، فمترجمنا كان يعتقد أنّ "أعداء" التعليم الأصلي ثلة من المعترضين، وبالإجابة على اعتراضاتهم ينتهي كلّ شيء، والحقيقة أنّ "أعداء" التعليم الأصلي ليسوا ثلة من المعترضين .. إنهم تيار جارف يرفض "القبلة" التي اختارها التاريخ والجغرافيا للجزائر، ويريد من الجزائر أن تتبع "القبلة" التي اختارتها المخابر الكولونيالية.

ولأنّ مولود قاسم لم يُقدِّر قوة "أعداء" التّعليم الأصلي، فإنه لم يتوقع أنْ تصل المؤامرة إلى حدّ إلغاء التعليم الأصلي، بل لعله لم يتوقع أنْ تُحاك يوما ما مؤامرة ضدّ التعليم الأصلي، ولهذا نجده يتحدّث في فيفري 1976م عن حُلم إلغاء "التعليم العام" واستبداله بـ"التعليم الأصلي" عندما تتوفّر الإطارات وتُوجد الإمكانات، ولعله لم يعلم وهو يتحدّث عن "حلمه الجميل" في فيفري 1976م أنّ مشروع الإجهاز على التعليم الأصلي قد بلغ المرحلة الحاسمة وبدأ العدّ التنازلي للتنفيذ، "وعندما تتوفر لدينا الإطارات، طبعا سيتوحد التعليم في البلاد في يوم من الأيام، ونرجو أنْ يكون هذا النموذج (التعليم الأصلي) هو الذي يطبق على التعليم العمومي في البلاد ... فنحن أيضا نرجو في يوم من الأيام، عندما تتوفر لدينا الإطارات، أن يتوسع هذا النوع من التعليم (التعليم الأصلي)، وأنْ يتوحد التعليم في البلاد على هذا الأساس، على هذه القاعدة، أنْ يمدّ الطالب بهذه الحصانة المعنوية إلى جانب التكوين الفني العلمي المادي الضروري، الذي يتطلبه العصر"[33].

---

[32] . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص177.

[33] . مولود قاسم نايت بلقاسم . أصالية أم انفصالية؟ . (ط.1 . الجزائر العاصمة . المؤسسة الوطنية للكتاب . 1411هـ/1991م) . الجزء الأول . ص 266 وما بعدها.



وهكذا كان الرّجل يحلم بإلغاء "التعليم العام" واستبداله بـ"التعليم الأصلي"، وأما الخصوم فما كانوا يحلمون بل كانوا يُخططون لإلغاء "التعليم الأصلي" واستبداله بـ "التعليم العام"، وقد قضت "حركة التاريخ" أنّ الغلبة لمن يُخطط لا لمن يحلم، ولو عدنا إلى جانفي 1976م لوجدنا أنّ مولود قاسم يتحدث عن إجراء "دورات تدريبية" لحملة شهادة الليسانس من الجامعة الإسلامية قبل التحاقهم بالإمامة، "... وكذلك بالنسبة للذين سيتحصّلون على الليسانس من كلية الشريعة والقانون المقارن في قسنطينة غدا، ومن كلية أصول الدين وتاريخ الأديان المقارن في وهران بعد غد، بعد الليسانس سيمرون بهذه المدرسة[34]"[35]، و"حتى الذين سيتخرجون من كليتي الشريعة وأصول الدين في قسنطينة ووهران سيمرون كذلك بفترة ما، فلصقل هذه المعلومات، ولترتيبها، ولإعطائها البطاقة الأخيرة، بطاقة الانطلاق في العمل لا بدّ أن يمروا بهذه المدرسة"[36]، ولم يدر مولود قاسم وهو يدشّن المدرسة الوطنية للإطارات الدينية بمفتاح أنّ أيام التعليم الأصلي باتت معدودة، وأما الجامعة الإسلامية فإنها موءودة.

ولو انطلق مولود قاسم في مشروع التعليم الأصلي بعد دراسة واعية ومستفيضة للعراقيل والتحديات التي يُمكن أن تواجه هذه المسيرة التربوية، فإنّه لا محالة سيخرج بخطة. فالرجل لا تعوزه الإمكانات الإدارية والفكرية. يتمكّن من خلالها من مجابهة العراقيل والوقوف في وجه التحديات، وربما كان في تسقيف عدد مؤسسات وتلاميذ التعليم الأصلي حلا ومخرجا، بحيث يكون عدد مؤسسات وتلاميذ التعليم الأصلي لا يثير حفيظة هؤلاء المعترضين، ولا شك أنّ هذا التسقيف ستكون له نتائج إيجابية على مستوى الكيف، إذْ سيتمكن من تأطير هؤلاء التلاميذ في أحسن الظروف البيداغوجية، ولا يحتاج إلى استيراد الأساتذة من المشرق العربي الذين كان في بثّ الكثير منهم لأيديولوجياتهم وسط تلاميذ التعليم الأصلي آثار وخيمة على الجزائر، ومنها دخل المغرضون للتشويش وإثارة الشعب على التعليم الأصلي.

34 . المدرسة الوطنية للإطارات الدينية الواقعة بمدينة مفتاح . ولاية البليدة، وتبعد عن الجزائر العاصمة حوالي 50 كيلومتر.

35 . مولود قاسم نايت بلقاسم . أصالية أم انفصالية؟ . الجزء الأول . ص 236.

36 . مولود قاسم نايت بلقاسم . أصالية أم انفصالية؟ . الجزء الأول . ص 233 وما بعدها.



وعلى كلّ لو أنّ مترجمنا مارس "فن الممكن" ما ألغي التعليم الأصلي! لأنّ الواضح أنّ الرئيس هواري بومدين كان يريد حلا توافقيا، أو كان لا يريد أنْ يخسر مولود قاسم، ولهذا كان الوحيد الذي ناداه بومدين أثناء مشاورات التعديل الوزاري سنة 1977م أربع مرّات، وعرض عليه عدّة عروض، ومن خلال نقاش الرئيس هواري بومدين مع مولود قاسم نستشف أنّ هناك مرونة في النقاش[37] لدى الطرف الأول وتصلب في المواقف لدى الطرف الثاني، وقد أومأ ـ من بعيد ـ الرئيس هواري بومدين إلى فكرة "التسقيف"، ولكن ما الحيلة أمام موقف متصلب؟! وأكاد أجزم أنّ مولود قاسم لو تلقّف هذه اللحظة التاريخية وطرح فكرة تقليص مؤسسات وتلاميذ التعليم الأصلي لوافقه الرئيس هواري بومدين على ذلك، وهذا هو فن الممكن .. أليس التقليص أولى من الإلغاء؟ إنّ الكثير من السياسيين تنقصهم "ثقافة الحديبية"[38].

وإذا عرفنا أنّ مولود قاسم كان يرى أبناء ثقافته (الثقافة العربية ـ الإسلامية) "كسالى ومشتتين وسطحيين وغير منظمين ولا منتظمين، ومن ثمة فوتوا على أنفسهم فرصا ثمينة، لو عرفوا كيف يتحركون وينسقون ويستهدفون هدفا بعيدا بوسائل فعالة لصنعوا بها المعجزة التي كان هو يريد تحقيقها بهم ومعهم"[39]، وإذا كان الناس لا يختلفون حول أهمية صناعة المعجزة، فإنّ المعجزة لا معنى لها إذا لم نتمكن من المحافظة عليها، وبصراحة فإنّ البطولة في المحافظة على المعجزة لا في صناعة المعجزة، فكم من معجزات صنعناها وأضعناها! إنّ الخطوة الحاسمة هي: أن يسير التفكير في "صناعة المعجزة" و"المحافظة على المعجزة" جنبا إلى جنب، فهل فكّر مولود قاسم وهو يضع "استراتيجية بناء التعليم الأصلي" في وضع "استراتيجية للمحافظة على التعليم الأصلي"؟

---

37 ـ انظر النقاش الذي جرى بين الرئيس هواري بومدين ومولود قاسم في: مولود قاسم نايت بلقاسم ـ مجلة الإرشاد ـ عدد (ماي 1992م) ـ عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" ـ جمع: د.أحمد بن نعمان ـ ص179 وما بعدها.

38 ـ إشارة إلى صلح الحديبية الذي وقع في ذي القعدة سنة 6 للهجرة، والذي عدّه كتاب السيرة النبوية اللبنة الأولى في طريق فتح مكة.

39 ـ أبو القاسم سعد الله ـ سي مولود ظاهرة فذّة ـ عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" ـ جمع د.أحمد بن نعمان ـ ص: 197 وما بعدها .



المبحث الثاني: الجامعة الشعبية

المطلب الأول ـ حقيقة الجامعة الشعبية

تُعدّ الجامعة الشعبية جزء لا يتجزأ من منظومة التعليم الأصلي، ولهذا عندما يتحدث مولود قاسم عن العدد الإجمالي لتلاميذ التعليم الأصلي يقول: "وصل عدد المنخرطين فيه (التعليم الأصلي) إلى عشرة آلاف طالب مسائيين، وثلاثين ألفا نظاميين"[40]، وهكذا يقسّم مولود قاسم تلاميذ التعليم الأصلي إلى قسمين هما:

1 . قسم التلاميذ النظاميين.

2 . قسم التلاميذ المسائيين.

وإذا كان عدد تلاميذ القسم النظامي ـ كما مرّ معنا ـ بدأ محتشما ولكن سرعان ما تضاعفت أعداده بشكل مذهل، فإنّ عدد تلاميذ القسم المسائي بدأ ـ كذلك ـ محتشما ثم تضاعفت أعداده بشكل فاق توقعات القائمين عليه، إذ بلغ سنة 1976م 10 آلاف تلميذ[41]، ومن هنا فإنّ الإطار التربوي الذي استوعب تلاميذ التعليم الأصلي المنخرطين في القسم المسائي أطلق عليه اسم: الجامعة الشعبية، ولهذا لم تفتقر الجامعة الشعبية إلى مؤسسات، إذْ أنّ مؤسسات التعليم الأصلي في النهار يدرس فيها تلاميذ القسم النظامي، وفي المساء يدرس فيها تلاميذ القسم المسائي، وهذا يعني أنّ الجامعة الشعبية وفّرت على القائمين عليها نفقات بناء الهياكل والمؤسسات.

---

40 . مولود قاسم نايت بلقاسم . مجلة الإرشاد . عدد (ماي 1992م) . عن: " مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف" . جمع: د.أحمد بن نعمان . ص178.

41 . محمد الصغير بلعلام . تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها (التكوين والتعليم) . ص: 75.



المطلب الثاني ـ الجامعة الشعبية فكرة

إنّ مولود قاسم كما استلهم فكرة التعليم الأصلي من التجارب التربوية المبثوثة هنا وهناك في الشرق والغرب، فقد استلهم فكرة الجامعة الشعبية من تجارب الدول الأوربية التي عرفها مناضلا أثناء الثورة التحريرية، فقد ألقى علمنا أيّام كان ممثلا للثورة في أوربا وذلك في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن الماضي عشرات المحاضرات في الجامعات الشعبية والمعاهد التربوية العليا في السويد، وفلندا، ومن عرف مولود قاسم فإنه لا يرتاب في أنّ الرّجل قد سأل عن كلّ صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا النمط التعليمي، فالرجل كان يسأل عن كلّ شيء إذْ ليس لظمئه المعرفي حدود ولا قيود، وهاهو أحد رفاقه يناجيه قائلا: "لقد كان ظمؤك يدفعك إلى طرح أسئلة دقتها تسبب أحيانا بعض الإحراج ... وكم كنّا نتعلّم من أسئلتك الدقيقة ..."[42].

وهاهو مولود قاسم يؤكد أنّه اطلع على تجربة الجامعة الشعبية أيّام كان ممثلا للثورة في أوربا، فيقول: "والجامعة الشعبية معروفة ومشهورة، ولكن تختلف وظيفتها بحسب البلدان ... وقد اطلعنا على هذه التجربة عن كثب في ثلاثة بلدان (وهي: ألمانيا، السويد، فلندا) حيث ألقينا محاضرات وعرضنا أفلاما عن كفاحنا التحريري في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات"[43] في هذه الدول، ولم يكتف مترجمنا بذلك بل اطلع على "مرجع على أقصى الأهمية عن دور الجامعة الشعبية في البلدان الاسكندناوية يتمثل في رسالة دكتوراه في جامعة باريس قدمتها بالفرنسية باحثة سويدية"[44] سنة 1960.

---

[42] . عبد العزيز بوتفليقة. كلمة في افتتاح الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم (27. 28. 29 مارس 2005م). عن "الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر (1927م/1992م) بمناسبة تخرج الدفعة العشرين (1428هـ/2007م)". جمع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة). ص: 21 وما بعدها.

[43] . مولود قاسم نايت بلقاسم. إنية وأصالة. ص 536 ومابعدها.

[44] . المرجع السابق. ص 537.



المطلب الثالث ـ الحاجة إلى الجامعة الشعبية

إذا كانت هذه البلدان قد استعانت بالجامعة الشعبية لدفع العجلة التعليمية فالجزائر أحوج البلدان لذلك، "هذا في ألمانيا والدول الاسكندناوية، التي لا يمكن أنْ يقال إنّ الجهل فيها ضارب أطنابه فكيف ببلدان العالم الثالث التي ترك فيها الاستعمار التّخلّف وأذنابه؟"[45]، وخصوصا وأنّ "هذه الطريقة نجحت كلّ النجاح"[46] في تلك البلدان، وكما نجحت تجربة الجامعة الشعبية في تلك الدول فقد نجحت في الجزائر وأكبر دليل على ذلك أنّ "نسبة الناجحين والناجحات سنة (1394هـ/1974م) من هؤلاء الكبار الدارسين ليلا في الجامعة الشعبية هي نسبة الناجحين والناجحات من بين الصغار أي: النظاميين"[47].

والجامعة الشعبية كانت حلا للكثير من الجزائريين الذين فاتهم قطار التعليم لسبب أو لآخر، وإذا عرف المرء أنّ عدد تلاميذ الجامعة الشعبية في الموسم الدراسي 1972م/1973م بلغ 5402 تلميذا[48]، ثم قفز هذا العدد سنة 1976م 10 آلاف تلميذ، عرف أنّ الإقبال على الجامعة الشعبية أكثر من مذهل، ومهما قيل عن أنّ التعطش إلى العلم والمعرفة وراء هذه القفزة المذهلة والكبيرة، فإنّ الواقعية تُحتّم علينا أن لا نغفل عامل البحث عن "الشهادة" ونحن نتحدث عن أسباب هذا الإقبال المنقطع النّظير، فالبحث عن "شهادة" التي هي الخطوة الأولى في طريق البحث عن "وظيفة" لا شك أنها دفعت بالكثيرين إلى الالتحاق بالجامعة الشعبية، وخاصة إذا عرفنا أنّ المنتسبين إليها لم يثقل كاهلهم بالشروط كما هو حال المدرسة النظامية، وبما أنّ الدّراسة تكون في الفترة المسائية فإنها لا تشكّل أيّ عائق أمام العمال أو غيرهم من أصحاب الارتباطات.

---

45 . المرجع نفسه والصفحة نفسها.

46 . المرجع نفسه والصفحة نفسها.

47 . المرجع نفسه والصفحة نفسها.

48 . انظر: مجلة الأصالة (عدد خاص . التعريب) . العدد 18/17 . ص 430.



المطلب الرابع ـ مقارنة بين التعليم الأصلي النظامي والتعليم الأصلي المسائي

حتى تتضح حقيقة الجامعة الشعبية يجب أنْ نعقد مقارنة بين التعليم الأصلي النظامي والتعليم الأصلي المسائي، لأنّ بالمقارنة تتضح الأمور وتنجلي الحقائق، وخلاصة الأمر أنّ المقارنة بين التعليم الأصلي النظامي والتعليم الأصلي المسائي تجعل المرء يخرج بالنتائج الآتية:

1 . إنّ الجامعية الشعبية فتحت أبوابها لجميع المستويات الدراسية دون مراعاة المستوى أو السن، وأما التعليم الأصلي النظامي فإنه يلتزم بالشروط التربوية الضرورية من حيث المستوى والسن[49].

2 . إنّ الجامعة الشعبية فتحت أبوابها في المساء من الساعة السادسة مساء إلى السّاعة التاسعة ليلا[50]، وأما التعليم الأصلي النظامي فإنه يفتح أبوابه في النّهار كما جرت العادة في التعليم العام.

3 . إنّ الجامعة الشعبية مفتوحة لمن فاته التعليم بسب السن أو كانت له رغبة في إتمام معلوماته[51]، فتُوفّر له فرصة لاستدراك ما يمكن استدراكه، وأما التعليم الأصلي النظامي فهو مفتوح للذين لم يفتهم قطار التعليم، فهو يُراعي السن القانونية للالتحاق بالمؤسسات التربوية.

4 . إنّ البرنامج الدراسي في الجامعة الشعبية هو ذات البرنامج الدراسي المعمول به في مؤسسة التعليم الأصلي النظامي، ف "نفس البرنامج المعمول به لدى التلاميذ النظاميين يطبّق برمته على تلاميذ الجامعة الشعبية"[52]، ولكن هل تكفي ثلاث ساعات يوميا لاستيعاب برنامج لا يقل حجمه السّاعي عن ستّ ساعات يوميا؟

---

[49] . انظر: مجلة الأصالة (عدد خاص ـ التعريب) . العدد 18/17 . ص 430.

[50] . المرجع نفسه . ص: 430.

[51] . المرجع نفسه . ص: 430.

[52] . المرجع نفسه . ص: 430.



5 . يُمكن القول أنّ "الظروف الاستثنائية" هي التي كانت وراء نشأة الجامعة الشعبية؛ إذْ لا يخفى على أحد سياسة التّجهيل التي اقترفها الاحتلال الفرنسي في حقّ الجزائريين، فما إن استعادت الجزائر حريتها حتى انهمر الجزائريون على المؤسسات التّعليمية والتّربوية، يمحون عار الأمية، ويرفعون حجب الجهل، ولهذا جاءت الجامعة الشعبية عسى أنْ تكون مفتاح حل للإقبال المتزايد على مقاعد الدراسة، وتُساهم في إرواء عطش الجزائريين العلمي والمعرفي[53]، وأما مؤسسة التعليم الأصلي النظامي فهي عبارة على مشروع كامل ومتكامل يبدأ من الطور التكميلي إلى الطور الجامعي، والهدف من ورائه أنْ يزود الوطن والأمة بمن يحقق أملها المشروع في التقدم العلمي والتقني والفني مع الحفظ على مقوماتها الأساسية والإنسانية في نفس الوقت من أجل تكوين مجتمع متماسك ومتوازن ومترابط لا تعصف به الرّيح ذات اليمين أو ذات الشمال[54].

المبحث الثالث: مجال محو الأمية

إنّ الاحتلال الفرنسي (1830م. 1962م) أسرف في تدمير المؤسسات التربوية والتعليمية من مدارس، ومساجد، وزاويا ... لتجهيل الجزائريين وحرمانهم من نور العلم والمعرفة حتّى تحوّلت الأمة الجزائرية إلى "أمّة أميّة" لا تعرف القراءة ولا الكتابة، ولهذا وجدت الجزائر نفسها غداة استرجاع الاستقلال (1962م) في فراغ تربوي رهيب يصعب ملؤه، وهوة علمية سحيقة يتعذر ردمها.

---

53 . انظر: المرجع السابق. ص 430.

54 . ينظر: محمد الصغير بلعلام. تجديد المؤسسات الدينية وترقيتها (التكوين والتعليم) "الملتقى الوطني حول شخصية مولود قاسم نايت بلقاسم (27 . 28 . 29 مارس 2005م)" . عن "الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر (1927م/1992م) بمناسبة تخرج الدفعة العشرين (1428هـ/2007م)". جمع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة). ص: 73.



المطلب الأول ـ أهمية محو الأمية

إنّ "مكافحة الأمية بالصبورة ... مهمة كبيرة جدا، وأول آية نزلت في القرآن كما تعلمون هي: "اقرأ"[55]، فـ"مكافحة الأمية التي يُهملها الكثير منكم (الأئمة)، ويحتقرونها، ولا يعبؤون بها، ويظنون أنها مسألة ثانوية، ومسألة بذخ وترف، كما يقول البعض منكم. لا، أبدا، بل هي في الصميم"[56]، وإذا عرف المرء أنّ من مهام الإمام تحفيظ القرآن الكريم، ومن البداهة بمكان أنّ مهمة تحفيظ القرآن الكريم تدخل ضمن مهمة محو الأمية، فممّا هو معروف أنّ الخطوة الأولى في طريق تحفيظ القرآن الكريم تعليم المقبل على حفظ القرآن الكريم المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة،

ولهذه الحيثيات فبمجرد اعتلاء مولود قاسم هرم وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية حتى سارع إلى وضع استراتيجية وطنية لمكافحة الأمية عبر كافة مساجد الجمهورية، ووصل الأمر أنْ فرض إجراءات عقابية على الذين لا يقومون بهذه المهمة، وهاهو يخاطب الأئمة قائلا: "ولكن لا حظنا أنّ الكثير منكم لا يقوم بهذه المهمة (مهمة محو الأمية) رغم المنشورات، ورغم التقارير، ورغم التنبيهات، ورغم العقاب، ورغم الخصم أحيانا من المرتب، ورغم الإنذارات، لا يزال بعضكم مع الأسف مخلا بهذه المهمة، وهي مهمة كبيرة جدا"[57].

المطلب الثاني ـ جهود وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية في محو الأمية

من باب معرفة جهود وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية في محو الأمية نعرض هذا "الجدول الإحصائي" الذي يبيّن عدد مراكز محو الأمية[58] على مستوى مساجد الجمهورية، وعدد المستفيدين من هذه الحملة الوطنية سنة 1972م، أي بعد حوالي عامين من انطلاقتها.

---

55 . مولود قاسم نايت بلقاسم . أصالية أم انفصالية؟ . الجزء الأول . ص 239.

56 . مولود قاسم نايت بلقاسم . أصالية أم انفصالية؟ . الجزء الثاني . ص 187.

57 . المرجع نفسه . ص 239.

58 . محمد الصغير بلعلام . السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات واجبات وحقوق . مجلة الأصالة . عدد 8. جوان، ماي 1972م . ص:253.



الولايات	عدد مراكز محو الأمية	عدد المسجلين	الناجحون في شهادة الابتدائية والأهلية
الجزائر	123	4915	
المدية	88	1500	
الشلف	50	507	
مستغانم	52	1576	
وهران	112	2330	
تلمسان	40	2200	
تيارت	35	900	06
سعيدة	47	1666	
بشار	53	1240	
تيزي وزو	320	2500	
سطيف	231	4656	
قسنطينة	160	3200	25
عنابة	106	1400	
الأوراس	54	2299	30
ورقلة	144	2511	112
المجموع	1615	35000	173

ويُمكن للمرء بعد تحليل هذا "الجدول الإحصائي" أنْ يخرج بالقراءة الشكلية والمضمونية الآتية:

1 . إنّ تيزي وزو تربّعت على أكبر عدد من مراكز محو الأمية، إذ وصل عددها إلى: (320) مركزا، متقدمة في ذلك على الجزائر العاصمة بـ (123) مركزا، وعاصمة الشرق . قسنطينة . بـ (160) مركزا، وعاصمة الغرب . وهران بـ (112) مركزا، وفي هذا دلالة على أنّ حملة محو الأمية بتيزي وزو وجدت حاضنة شعبية أدت إلى هبة جماهيرية، ولعل ذلك يعود إلى وفرة الإمكانيات المادية، وإلى أنّ تيزي وزو كانت معقلا من معاقل الحركة الإصلاحية، ومركزا من مراكز الحركة الوطنية، ولا يخفى على أحد كثرة زواياها ومساجدها.



2 . إنّ الجزائر العاصمة احتضنت أكبر عدد من المستفيدين من حملة محو الأمية إذ بلغ عددهم (4915) مستفيدا، ورغم أنّ عدد مراكز محو الأمية بتيزي وزو يفوق عدد مراكز محو الأمية بالجزائر العاصمة بـ (197) مركزا إلا أنّ عدد المستفيدين من حملة محو الأمية بالجزائر العاصمة أكثر من عدد المستفيدين من حملة محو الأمية بتيزي وزو بـ (2415) مستفيدا، وهذا لا شك راجع إلى أنّ الكثافة السكانية بالجزائر أكثر من الكثافة السكانية بتيزي وزو.

3 . إذا عقدنا مقارنة بين إجمالي عدد المساجد البالغ 4500 مسجدا، وإجمالي عدد مراكز محو الأمية البالغ 1615 مركزا، أي: أنّ ما يزيد على ثلث المساجد قد فتحت أبوابها لمحو الأمية، وهذا مؤشر واضح على نجاح هذه الحملة الوطنية التي لا تزال في بداية الطريق، بفضل جهود وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، والبعد الوطني الذي أُعطي لهذه الحملة، فقد كان الرئيس هواري بومدين يزور هذه المراكز بين الفينة والأخرى من باب تفقد سيرها، وتشجيع القائمين عليها والمنخرطين فيها.

المطلب الثالث ـ نتائج جهود محو الأمية

إنّ حملة محو الأمية مكّنت المساجد من صناعة الحياة بعد أن كانت تعيش على هامش الحياة، فانخراط المسجد في محاربة محو الأمية جعله يستعيد رسالته التربوية والتعليمية، ويُسهم في التعاون المثمر مع مؤسسات المجتمع الأخرى، فيلتقي الجميع على صعيد واحد .. صعيد نفع المجتمع وخدمة الوطن.

وهذا البرنامج الوطني لمكافحة الأمية ساهم بشكل كبير في نفض غبار الأمية عن الكثير من شرائح المجتمع التي حرمها الاحتلال الفرنسي نور العلم والمعرفة، فقد كان الجزائريون إبّان الاستدمار الفرنسي لا يجدون من يقرأ لهم حتى "رسائلهم" مما يضطرهم إلى شدّ الرّحال للبحث عمن يقرؤها، وفي الغالب فإنّ الذين يتولون قراءتها هم أئمة المساجد، ولهذا فإنّ برنامج محو الأمية الذي تبنته وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية مكّن هذه الشريحة من الناس من قراءة



رسائلها، ومن القراءة في المصحف ... الخ، فهذا البرنامج حقّق. على الأقل. الحدّ الأدنى، وجعل ضحايا الحقبة الفرنسية يستدركون ما يمكن استدراكه.

خاتمة

بعد أن عرفنا المدرسة الإسلامية الأصيلة عند مولود قاسم يُمكن للمرء استنباط النتائج الآتية:

إنّ جهود مولود قاسم في إعادة إحياء المدرسة الإسلامية الأصيلة يشهد بها القاصي والدّاني، وهي بحق مشروع تربوي متكامل، ولو كتب له النجاح لألقى بظلاله الوارفة على كلّ "الميادين المُجتمعية"، إذ لا يختلف المختلفون على أنّ الخطوة الأولى في طريق إصلاح المجتمع إصلاح التعليم، وفيما يأتي أهم النتائج التي يُمكن الخروج بها من وراء هذه الدراسة:

1 . إنّ مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة يهدف إلى تكوين "الطالب المسلم" الذي يكون النّواة الأولى لـ"الطبيب المسلم" و"المهندس المسلم" ... فيحافظ المجتمع على شخصيته الإسلامية ومقوماته الحضارية. وبتعبير مولود قاسم يحافظ المجتمع على "إنيته". في ظل تيار العولمة الجارف، ولهذا فإن مولود قاسم دائما يردد: لا أريد الطبيب ولكن أريد الطبيب المسلم، ولا أريد المهندس ولكن أريد المهندس المسلم ... ، و"التعليم العام" يضمن الطبيب والمهندس ... ولكن لا يضمن الطبيب المسلم، والمهندس المسلم ... ، إنّ المدرسة الإسلامية الأصيلة هي التي تضمن الطبيب المسلم، والمهندس المسلم ... ، ولهذا أجهز عليه "يتامى الثقافة" على حدّ قول مولود قاسم لأنهم أيقنوا أنه محاولة جادة لإرجاع الأمة إلى حلبة الشهود الحضاري.

2 ـ يُعدّ مولود قاسم من رواد "الجامعة الإسلامية" التي هي الحلقة التتويجية في مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة، و"الجامعة الإسلامية" من منظور مولود قاسم، تقوم على أمرين هما: أن تشمل وتستوعب كلّ الكليات والتخصصات،



وأن تسري الروح الأخلاقية، والإسلامية، والحضارية، في كلّ المقرارات والبرامج الدراسية، والثمرة تسليح الأجيال علميا ومعرفيا، وتحصينهم أخلاقيا وحضاريا، والعودة بالتعليم إلى العهود الزاهرة في الإسلام.

3 . إنّ الجامعة الشعبية جزء لا يتجزأ من مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة، وهي تقوم على تمكين جميع شرائح المجتمع من التّعلّم، وإيجاد فرص بديلة لكلّ الذين لا يقبلهم أو لا يناسبهم "التعليم النظامي"، والمشرفون على القطاع التربوي والتعليمي يجب عليهم أن يفكّروا في إيجاد استراتيجيات لدمج أكبر قدر ممكن من المجتمع في العملية التربوبة والتعليمية لأن الخطوة الأولى في طريق نهضة المجتمع هي نهضة التعليم.

4 . إنّ محو الأمية ركيزة أساسية في مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة، فانتشار الأمية في مجتمع من المجتمعات دليل تخلف وتبعية، ولهذا فإن "الأمية" من أهم المؤشرات على تطور المجتمعات أو تخلفها، ولن تجد بلدا في مصاف البلدان المتقدمة ومجتمعه يتجرع مرارة الأمية، ولهذا أولى علمنا قضية "محو الأمية" عناية بالغة، وسخّر لها إمكانات كبيرة.

5 . إنّ مشروع المدرسة الإسلامية الأصيلة بأضلاعه الثلاثة (التعليم الأصلي، الجامعة الشعبية، محو الأمية) يهدف إلى تحصين المجتمع، وجعله يعتز بهويته، ويتمسك بأصالته، ولا يفرط في شخصيته، فيكسب المجتمع "المناعة الذاتية" التي من خلالها يحافظ على ثوابته الحضارية.

6 ـ إنّ مؤامرة إلغاء المدرسة الإسلامية الأصيلة درس وأي درس لكل العاملين في حقل إعادة الأمة إلى حلبة الشهود الحضاري، أنّ التفكير في المحافظة على الإنجازات، يجب أن يسبق التفكير في صناعة الإنجازات، والواجب وآن الأون للانتقال من "ثقافة البكاء" على ضياع الإنجازات، إلى "فقه المحافظة على الإنجازات".



المصادر والمراجع

1. ـ أصالية أم انفصالية؟ مولود قاسم نايت بلقاسم (المتوفى:1992م) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر العاصمة،1991م، الطبعة الأولى، الجزء الأول.

2. ـ أصالية أم انفصالية؟ . مولود قاسم نايت بلقاسم (المتوفى:1992م) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر العاصمة،1991م، الطبعة الأولى، الجزء الثاني.

3. ـ إنية وأصالة، مولود قاسم نايت بلقاسم (المتوفى:1992م) دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1975م، دون طبعة.

4. ـ مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف، أحمد بن نعمان،دار الأمة، برج الكيفان،الجزائر، 1997م، الطبعة الثانية.

5. ـ مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار شهادات ومواقف، أحمد بن نعمان،دار النعمان، برج الكيفان، الجزائر، 2016م، دون طبعة.

6. ـ الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم المفكر الموسوعي والوطني الثائر (1927م/1992م) بمناسبة تخرج الدفعة العشرين (1428هـ/2007م) . جمع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة) الجزائر . (د.ط . عين مليلة . الجزائر . دار الهدى . 1428هـ/2007م).

7. ـ مجلة الأصالة . العدد الثامن . د.ت . منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف . الجزائر . (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م) . (د.ط . الرغاية . الجزائر . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . 2012م) .

8. **.** مجلة الأصالة (عدد خاص . التعريب) . العدد 18/17 . المجلد السادس . د.ت . منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف . الجزائر . (تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011م) . (د.ط . الرغاية . الجزائر . المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . 2012م) .

